المفاهيم النبويّة التربوية وأبعادها
"دراسة تحليلية"

د. أحمد إدريس الطعّان الحاج (*)

(*) مدرس بجامعة دمشق – كلية الشريعة – الجمهورية العربية السورية.

ملخص البحث:

إن المفهوم يشكل أساساً مهماً في الخطاب أياً كان هذا الخطاب، وهو يتمركز في ثنايا الكلام عبر مواقع [استراتيجية]؛ ليؤدي وظيفةً رئيسة في الإمساك بمفاصل الخطاب، وتوجيه مراميه الجوهرية، وإرسال الرسائل المرادة لتوجيه المخاطب.

وفي هذه الورقة سوف نقف لنتأمل في الخطاب النبوي من زاوية أساسية وهي زاوية الكلمة المركزية، والمفاصل الجوهرية، المتمثلة في المفاهيم النبوية، التي تتبوأ مكانة بارزة في بناء الفكر، وصياغته، وتوجيهه، كما أنها مفتاح العلوم والثقافة، وأدوات للتفكير والإفصاح والبيان، ونقاط ارتكاز للعقل والحضارة.

ولذلك نجد المعركة الدائرة اليوم بين الشرق والغرب – في جانب منها – معركة مصطلحات ومفاهيم، يحاول الأقوى في هذه المعركة أن يَضخّ أكبر قدر ممكن من المفاهيم المعبرة عن هويته وثقافته، ويعرضها في سوق الثقافة العالمية مُعبَّأة بأنماط حياته، وأساليب تفكيره، أو يفرضها أحياناً على الضعفاء بأساليب مختلفة من الترغيب والترهيب.

"بل إنه من الأمور اللافتة للنظر اليوم: أن أدوات هذه المعارك الجديدة تتمثل في استخدام مفاهيم الأمة نفسها، والتسلل والعبور من خلالها، بعد إعطائها دلالات جديدة، وتفريغها من مضامينها، وتاريخها الثقافي، ورصيدها في شعور الناس، وربطها بحوادث وأحداث جديدة على طريقة المنعكس الشرطي، لتحويلها إلى مدلولات جديدة منفرة"* فيتم استخدام مفاهيم إسلامية مثل: التأويل، المقاصد، النسخ، المصالح، أسباب النزول وغيرها، وإفراغ هذه المفاهيم الإسلامية من محتواها وتضمينها مواد جديدة لا تمت إلى الإسلام بصلة.

وإن أهم منهج قام عليه هذا البحث هو المنهج الاستقرائي في جمع عدد كبير من المفاهيم النبوية، ثم المنهج التحليلي والمقارن؛ لتحليل المفاهيم ومقارنتها مع مثيلاتها وأشباهها، أو مقابلاتها ونظائرها.

---

* "المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية" – سعيد شبار، ص٣٠.

المقدمة:

الحمد لله الذي أكرمنا بنور الهداية، وأخرجنا من ظلمات الغواية، وجعل لنا في كل شيءٍ آية، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم في البداية والنهاية، وبعد:

إن المفهوم يشكل أساساً مهماً في الخطاب – أياً كان هذا الخطاب – وهو يتمركز في ثنايا الكلام عبر مواقع [استراتيجية]؛ ليؤدي وظيفةً رئيسة في الإمساك بمفاصل الخطاب، وتوجيه مراميه الجوهرية، وإرسال الرسائل المرادة لتوجيه المخاطب.

وفي هذه الورقة سوف نقف لنتأمل الخطاب النبوي من زاوية أساسية وهي زاوية الكلمة المركزية، والمفاصل الجوهرية، المتمثلة في المفاهيم النبوية، التي تتبوأ مكانة بارزة في بناء الفكر، وصياغته، وتوجيهه، كما أنها مفتاح العلوم والثقافة، وأدوات للتفكير والإفصاح والبيان، ونقاط ارتكاز للعقل والحضارة.

ولذلك نجد المعركة الدائرة اليوم: بين الشرق والغرب – في جانب منها – معركة مصطلحات ومفاهيم، يحاول الأقوى في هذه المعركة أن يَضخّ أكبر قدر ممكن من المفاهيم المعبرة عن هويته وثقافته، ويعرضها في سوق الثقافة العالمية مُعبَّأة بأنماط حياته، وأساليب تفكيره، أو يفرضها أحياناً على الضعفاء بأساليب مختلفة من الترغيب والترهيب.

"بل إنه من الأمور اللافتة للنظر اليوم: أن أدوات هذه المعارك الجديدة تتمثل في استخدام مصطلحات الأمة نفسها، والتسلل والعبور من خلالها، بعد إعطائها دلالات جديدة، وتفريغها من مضامينها، وتاريخها الثقافي، ورصيدها في شعور الناس، وربطها بحوادث وأحداث جديدة على طريقة المنعكس الشرطي، لتحويلها إلى مدلولات جديدة منفرة"[(١)] فيتم استخدام مفاهيم

---

(١) "المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية" – سعيد شبار، ص٣٠.

إسلامية مثل: التأويل، المقاصد، النسخ، المصالح، وغيرها، وإفراغ هذه المفاهيم الإسلامية من محتواها وتضمينها مواد جديدة لا تمت إلى الإسلام بصلة.

وقد أقام الشيخ نعيم عرقسوسي – حفظه الله – دورة لقراءة صحيح البخاري على عدد كبير من الطلاب في جامع الإيمان بدمشق بغية إجازتهم به خلال فترة وجيزة، وقد حضرت في هذه الفترة لعدة أيام، وكنت خلال الإصغاء لحديث النبي ﷺ تلفت نظري كلمات ينطق بها النبي ﷺ فأقف عندها وأسجل رقم الحديث الذي وردت فيه، فتجمع لدي عدد كبير من هذه الأحاديث، ونظرت فيها فإذا هي جديرة بأن تكون مادتها كافية لبحث مهمٍ يقوم على استقراء ما تحتويه الأحاديث النبوية من مفاهيم تكوّن الأسلوب النبوي في الخطاب والتربية والتعليم.

والحقيقة أن ما تجمّع لدي يصلح بحثاً لرسالة علمية أكثر من كونه بحثاً معداً لمؤتمر أو ندوة علمية، ولعل هذا البحث يتحول – بعون الله وتوفيقه – إلى كتاب أكثر تفصيلاً واتساعاً –إن شاء الله عز وجل– في قادمات الأيام.

الدراسات السابقة:

لم أطلع على دراسة تتناول هذا الموضوع بالشكل الذي تم في هذا البحث، سوى كتيب صغير الحجم للأستاذ عبد الله بن حمود البوسعيدي بعنوان "مصطلحات نبوية" صدر عن دار ابن حزم ط١/ ٢٠٠١ م. وقد جمع المؤلف فيه عدداً من المفاهيم النبوية وقام بشرحها شرحاً موجزاً.

منهج البحث:

استعملت في هذا البحث المنهج الاستقرائي؛ لجمع عدد كبير من المفاهيم النبوية، ثم المنهج التحليلي والمقارن؛ لتحليلها ومقارنتها مع مثيلاتها وأشباهها أو مقابلاتها ونظائرها، وقد جاءت خطة البحث كالآتي:

المقدمة.

المبحث الأول: ملامح الخطاب النبوي.

لقد كان النبي ﷺ – إذن – مُقِلّاً في كلامه وداعياً إلى الإقلال من الكلام فقد جاء في الحديث عنه ﷺ: "... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"(٤).

ولكن كان كلامه فصلاً بيناً؛ كما جاء في الحديث السابق، أي مركزاً واضحاً، وكان بالإضافة إلى ذلك جمّاعاً للمعاني، فقد أعطي جوامع الكلم ولذلك قال ﷺ: "بعثت بجوامع الكلم"(٥)، ولا أجد أفضل من حديث النبي ﷺ هذا تعبيراً عن حرصه على الإقلال من الكلام والاقتصاد فيه. إلا أن النبي ﷺ كان يعوّض هذا الإقلال والاقتصاد في الكلام بعدة أمور، من أهمها:

أولاً – أنه كان يختار جوامع الكلم؛ فيحرص على أن تكون كلماته قليلة الألفاظ كثيرة المعاني(٦)، وأمثلة ذلك كثيرة.

ثانياً – أن تكون كلماته مؤثرة، ولهذا أسباب ودواعي كثيرة:

١ – أهمية الفكرة: فلا يتحدث النبي ﷺ بالفكرة إلا إذا كان مهتماً بها، ومنفعلاً معها إلى حد كبير، ويتجلى ذلك في حرصه على الأمر أو النهي أو التذكير أو التحذير أو التعليم، كلٌّ في موطنه الملائم.

٢ – التهيئة النفسية للمتلقي: فيتحدث ﷺ حين يكون الصحابة رضوان الله عليهم مهيئين لذلك ومنتظرين ومتشوقين، أو أن النبي ﷺ يهيئهم لذلك بأسلوبه اللطيف وكلماته النافذة دون أن يثقل عليهم؛ حتى لا يملوا، متمثلاً في ذلك قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ

---

(٤) صحيح البخاري – (ج ٥/ ص ٢٢٤٠). ومسلم في الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف.

(٥) عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي) صحيح البخاري – (ج ٦/ ص ٢٥٧٣)، ومسلم – (ج٢/ ص ٦٤).

(٦) "النهاية في غريب الحديث والأثر"،ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي ص ١/ ٢٩٥.

وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[٧]. فكان يتخولهم بالموعظة؛ مخافة السآمة عليهم[٨].

٣ - المكان والزمان: حيث من المهم اختيار المكان والزمان الملائمين لبلوغ الكلمة غايتها في التأثير.

المطلب الثاني
القدوة العملية

كان النبي ﷺ يربي أصحابه ويعلمهم عن طريق القدوة العملية، فالتربية ليست كلمات تقال، أو صحائف تكتب، وإنما هي ممارسة وسلوك قبل كل شيء. فكان يحرص على دفعهم باتجاه التطبيق العملي، والقيام بالواجب، والحرص على الأعمال قبل الأقوال، فإذا تعلموا منه عشر آيات لم يجاوزوهن حتى يتعلموا ما فيهن من العمل[٩]؛ ولذلك كان عدد من الصحابة المقربين منه ﷺ لا يحفظون القرآن الكريم كاملاً، وإنما بعضه؛ لأن اهتمامهم كان متجهاً بالدرجة الأولى إلى الفهم العملي والممارسة قبل الحفظ الصوري[١٠].

التربية - إذن - في منهاج النبوة لا تأتي عن طريق الخطب وحدها، وإنما تأتي عن طريق القدوة الحسنة، والحركة الإيجابية، وهكذا كان معهم في كل

---

(٧) سورة النحل آية: ١٢٥.

(٨) الحديث: كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا، صحيح البخاري - (ج ١/ ص ٣٩) ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة، رقم الحديث ٢٨٢١.

(٩) الحديث: "كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا مِنَ النَّبِىِّ - ﷺ - عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ نَتَعَلَّمْ مِنَ الْعَشْرِ الَّتِى نَزَلَتْ بَعْدَهَا حَتَّى نَعْلَمَ مَا فِيهِ. قِيلَ لِشَرِيكٍ: مِنَ الْعَمَلِ؟ قَالَ: نَعَمْ. السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي - (ج ٣/ ص ١١٩). والمستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ٧٤٣.

(١٠) الحديث: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: جَمَعَ القرآن على عهدِ رسولِ الله ﷺ أربعَةٌ كُلُّهم من الأنصار: أُبيُّ بن كَعْبٍ، ومعاذُ بن جَبَلٍ، وأبو زيد، وزيدٌ يعني: ابن ثَابتٍ، قلتُ لأنسٍ: مَنْ أبو زَيْدٍ؟ قال: أَحَدُ عُمُومَتي. أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي. وفي أخرى للبخاري قال: ماتَ النبيُّ ﷺ، ولمْ يَجْمَعِ القُرآنَ غيْرُ أربعَةٍ: أبو الدرداء، ومعاذُ بن جَبَلٍ، وزيدُ بن ثابتٍ، وأبو زيدٍ، ونَحنُ وَرِثْنَاهُ [جامع الأصول في أحاديث الرسول ج ٢/ ص ٥٠٧].

المناسبات: ففي المعركة يكون أقربهم إلى العدو، ويحتمون به إذا حمي الوطيس[١١]، وإذا ما راعهم شيءٌ يكون أول مستطلع لحقيقة الأمر[١٢]، وفي مشروع الخندق كان يحمل التراب بثوبه، ويجوع معهم ويعطش معهم[١٣]. وفي الصلاة لا يطيقون ما يطيق من طول القنوت، والركوع والسجود والقراءة[١٤]، وهكذا كان ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم[١٥].

إذن، لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قوالاً، وإنما كان فعالاً، لا يلتفت إلى القيل والقال[١٦]، وإنما يبادر دائماً بالأعمال[١٧]. ويعالج المشكلات بحلول

---

(١١) الحديث: عن على رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله – ﷺ – وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا. [كنز العمال٢٩٩٤٣] أخرجه ابن أبى شيبة (٦/٤٢٦، رقم ٣٢٦١٤)، وأحمد (١/٨٦، رقم ٦٥٤)، وأبو يعلى (١/٣٢٩، رقم ٤١٢).

(١٢) الحديث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – رَاجِعاً وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِى طَلْحَةَ عُرْيٍ فِى عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: (لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا). قَالَ (وَجَدْنَاهُ بَحْراً، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ). قَالَ: وَكَانَ فَرَساً يُبَطَّأُ. صحيح مسلم – (ج ٧/ص٧٢). صحيح البخاري – (ج ٣/ص١٠٦٥).

(١٣) عن أبي طلحة – رضي الله عنه –: قال: (شَكَوْنا إلى رسول الله – ﷺ – الجوعَ، ورفعنا ثِيَابَنا عن حَجَرٍ حَجَرٍ إلى بُطونِنا، فرفع رسول الله – ﷺ – عن حَجَرَيْنِ). أخرجه الترمذي. [جامع الأصول في أحاديث الرسول، (ج ٤ / ص ٦٩٩)].

(١٤) الحديث: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ، أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً). صحيح مسلم – (ج ٨ / ص ١٤١). صحيح البخاري – (ج ٤ / ص ١٨٣٠).

(١٥) الحديث: عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت:كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر ويفطر حتى نقول: لا يصوم وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان [الموطأ – رواية يحيى الليثي – ج ١/ ص ٣٠٩].

(١٦) (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثاً، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ) صحيح مسلم (ج ٥/ص١٣٠). والبخاري، باب ما ينهى عن إضاعة المال ٢/٨٤٨.

(١٧) (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِى كَافِراً، أَوْ يُمْسِى مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) صحيح مسلم – (ج١/ص٧٦).

عملية، دون اكتراث بالشائعات ويسرع إلى شغل الناس بجليل الأعمال، والنافع من الأحوال[١٨].

المطلب الثالث
الانفعال والتأثير

وهكذا فإن الخطاب النبوي جاء بالفعل جمّاعاً لأصناف المعاني المبشرة أو المحذّرة، المرغّبة أو المرهّبة، الآمرة أو الناهية، وإذا أردنا أن نصفه بجملة مستعارة من علم النفس معبرة عن بنية هذا الخطاب فلا أجد أبلغ من وصفه بـ "الأداء الماهر"[١٩]، والمهارة – هنا – تعني أن يؤدي المفهوم الذي يخاطب به النبي ﷺ وظائف عديدة في وعي المخاطبين.

"إن التنمذج المكاني والزماني وتفاعل عمليات التغذية الراجعة من المستقبلات والمستجيبات والمميزات الرئيسة من قبيل التوقيت والتوقع والاستجابة المتدرجة ينظر إليها والحالة هذه على أنها خصائص مميزة للمهارة"[٢٠].

إن هذا ما يتميز به خطاب النبوة عبر استثارة المخاطبين وتركيز انتباههم وتهيئتهم لتقبل الخطاب، ولا شك أن القرآن الكريم هو المثال الأعلى لهذا الأسلوب ولننظر الآن في مثال من خطابه ﷺ.

---

(١٨) كما حصل في معالجته ﷺ للمشكلات التي اصطنعها المنافقون في غزوة بني المصطلق حين رحل في ساعة لم يكن يرتحل فيها، وسار بالجيش ساعات متواصلة؛ لكي يشغلهم بالسفر والتعب عن الإشاعة والقيل والقال. راجع: "الرحيق المختوم" صفي الدين المباركفوري وغيره من كتب السيرة في الحديث عن غزوة بني المصطلق.

(١٩) معظم التعاريف لـ "الأداء الماهر" تتفق على شيءٍ واحد: وهو يجب ادخار الـ "مهارة" للمعقد من الأنشطة دون بسيطها، وقد كتب بارتليت "لعلنا واجدون بداءات المهارة في الاستجابة المتدرجة، وهي التي تتطلب من الشخص القيام بحركة من مقدار محدد وتقع تحت سيطرته" ويضيف "أنه يجدر بنا أن لا نشرع باستخدام المهارة إلا عندما ترتبط جملة من وظائف المستقبلات والمستجيبات فيما بينها وتتصل مع بعضها في سلسلة تتسم بسمات توجيهية واضحة وتسير في حركتها صوب نقطة نهاية أو هدف. "مدخل إلى علم النفس" آن تايلور وآخرون، ترجمة: عيسى سمعان ٢/ ص٥ –٦.

(٢٠) مدخل إلى علم النفس – مصدر سابق ٢/ ص ٦.

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ شَهْرُ مُضَرَ الَّذِى بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ. ثُمَّ قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا»؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ»؟ قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا»؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: «أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ». قُلْنَا بَلَى. قَالَ «فَأَىُّ يَوْمٍ هَذَا»؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ»؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ – قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلاَ تَرْجِعُنَّ بَعْدِى كُفَّاراً –أَوْ ضُلاَّلاً– يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ». ثُمَّ قَالَ:«أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ»[٢١].

يقف النبي ﷺ ويتساءل أي شهر هذا؟ فيجيبونه بأدب، ثم يسكت حتى يظنون أنه سيسميه بغير اسمه، والحقيقة أن النبي ﷺ يشوقهم، ويشد انتباههم إليه، لأنه يريد أن يبلغهم وصية مهمة، لكنه قبل ذلك يعيد إلى وعيهم وذاكرتهم قداسة الزمان والمكان، ويدمجهم معه في الحال المنفعل، مع ملاحظة أن هذا الكلام يُقال في جمع عظيم تسوده الرهبة والرغبة، والمشاعر جيّاشة، والقلوب فيّاضة، ويزيد النبي ﷺ الموقفَ هيبة بسكوته وصمته، والصمت في بعض الأحيان إذا حفت به القرائن والأحوال أبلغ من الكلام، ثم يعمق النبي ﷺ الموقف بالسؤال المتكرر، وبرهة الصمت المشوقة، أي شهر هذا ؟ أي بلد هذا ؟ أي يوم هذا ؟ بلى يا رسول الله ! إذن فاستعدوا الآن لما أوصيكم به، وتهيأوا لما سأبلغكم إياه، وانظر الآن إلى خطورة الوصية :«فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ

(٢١) البخاري: باب الخطبة أيام منى ٢/ ٦٢٠. رقم ١٦٥٤. ومسلم: ج ٥/ ص ١٠٧ رقم ٤٤٧٧.

وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ".

لم تكن هذه الخُطبة بضع صفحات، وإنما بضعة أسطر، ولكنها تنطوي على صفحات من الانفعالات والمشاعر المضغوطة إلى درجة تلتهب فيها القلوب، وتذرف لها العيون.لقد استثمر النبي ﷺ في خطابه هذا الزمان والمكان والآن، وجعل من كلامه وشخصيته المركز والنموذج الذي اندمجت فيه كل الجموع المتناثرة من حوله، ثم استثار هذه الجموع بما تستكنه من قداسات راسخة، وهز في وعيها عمليات التغذية الراجعة من المستقبلات والمستجيبات، ليستخلص منها الاستجابات المتدرجة، وينميها إلى جماهير مترقبة، بل متشوقة، تنتظر منه كلمته بفارغ الصبر ﷺ، ثم أرسلها لهم !.

ومع ذلك ونحن نحلل الخطاب النبوي، فلا شك أن هناك مناطق عصية على التحليل، إن هناك فجوات لا يمكننا أن نردمها، ذلك لأننا لم نسمع الخطاب، وإنما قرأناه، أما كيف كان النبي ﷺ يتحدث إليهم ؟ كيف كانت عيناه ؟ وملامح وجهه الشريف ؟ وكيف كانت نبرة صوته ؟ كيف كان يصمت وكيف يسترسل ؟ وكيف يستفسر ؟ وكيف كانت استجابات الصحابة رضوان الله عليهم في هذه الفجوات الصامتة، بل الناطقة ! هذا ما يعسر الوصول إليه، ولا يصلنا منه إلّا الصدى الذي يجعلنا نعيش في لحظات من التخيل والتأمل، يختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والمعطيات، ما عدا صورة منه حين يرفع يديه ﷺ مرات عديدة ويقول : اللهم هل بلغت ! اللهم فاشهد !. ولكن الذي نعرفه جيداً أن خُطب النبي ﷺ على قصرها كانت مركزة، محركة للوجدان تهدف إلى تحقيق الغرض من أقرب طريق، فهو حين يُحذّر كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم(٢٢)، وكان يتوقف، ويسأل، وتدمع عيناه، ويضحك أحياناً حتى تبدو نواجذه. بل إنه ﷺ يكلمهم بحاله أحياناً، ويخاطبهم بصمته، ويبكي ويضحك، ثم يقص عليهم القصة

(٢٢) الحديث: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: (صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ). صحيح مسلم - (ج ٣/ص ١١).

بعد أن يشتاقوا إليها من خلال رؤيتهم لانفعالات النبي ﷺ[٢٣]، ذلك أن "الكلام الانفعالي التعبيري هو أحد أكثر الوسائل تأثيراً، والقادر على إشعال حماسة المخاطبين... فالمخاطب يلاحظ إذا كان المتكلم مهتماً بفكرته أم لا يبالي بها، حريصاً على تسويغها والإقناع بها أم لا ؟ وهكذا فإن أغلب انفعالات المتكلم تظهر في وجهه، أو كلامه، أو نبرته، وتُحرّض استجابات جوابية لدى المخاطبين"[٢٤].

لقد كان النبي ﷺ حريصاً على الإبلاغ بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى، إنها مهمته الأولى والمركزية؛ ولذلك كان يتجه إلى الناس مستفسراً منهم ألا هل بلغت؟ ثم يتجه إلى ربه قائلاً: اللهم أشهد. إنه يستشعر جسامة المسؤولية الملقاة على عاتقه، وهو يتمثل في ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[٢٥]. ومن هنا كان المصطفى ﷺ يراعي ثلاثة جوانب في خطابه :

- **أن يكون ملائماً لمستوى المخاطبين.**
- **أن يكون مُركزاً وجامعاً؛ حتى لا تتبعثر المقاصد الجوهرية في الهامشيات.**
- **أن يراعي التدرج في الانتشال أولاً من أوحال الجاهلية والتقاليد، ومن ثَم الارتقاء في منارات الإسلام.**

لم يكن الأمر سهلاً فقد اقتضى ذلك خوض معركة مطولة مع الجاهلية على كافة المستويات، وقد كان أحد هذه المستويات هو مستوى الكلام واللغة، وكان الإسلام بقرآنه ونبيّه ﷺ يدير المعركة.

---

(٢٣) الحديث: عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري قال: سمعت أنساً رضي الله عنه يقول: دخل رسول الله ﷺ على ابنة ملحان فاتكأ عندها ثم ضحك. فقالت: لم تضحك يا رسول الله؟ فقال: (أناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرة). فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. قال: (اللهم اجعلها منهم). ثم عاد فضحك فقالت له مثل أو مم ذلك؟ فقال لها: مثل ذلك فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم. قال (أنت من الأولين، ولست من الآخرين). قال قال أنس فتزوجت عبادة بن الصامت، فركبت البحر مع بنت قرظة، فلما قفلت ركبت دابتها فوقصت بها فسقطت عنها فماتت. صحيح البخاري – (ج ٣/ ص ١٠٥٥).

(٢٤) علم النفس العام ص ٤٨١.

(٢٥) سورة المائدة آية ٦٧.

المبحث الثاني
مدخل إلى شبكة المفاهيم النبوية

إذا تأملنا سنجد أن من أبرز تجليات هذه المعركة على المستوى اللغوي أو البياني هو مجال المفاهيم، ذلك أن المنظومة الإسلامية الجديدة يجب أن تتمحور حول مراكز وعلامات تفصلها عن التقاليد السائدة، والأعراف المستقرة من قبل، وهكذا بدأ الإسلام منذ لحظته الأولى يُنشئ شبكته المفهومية، ويبني دائرته؛ لكي يحكم السيطرة والتوجيه، ومن ثَمّ الامتداد. وهكذا إذا نظرنا إلى شبكة المفاهيم الإسلامية نجدها في غاية الانضباط والوضوح، وخصوصاً إذا تأملنا في المفاهيم الكبرى والجوهرية مثل: الإسلام – الإيمان – الكفر – الشرك – النفاق – الإحسان – العبادة – الصلاة – الصوم – الزكاة – الحج – الجهاد – الطاعة – الهداية – الضلال – الغواية – الرشاد – الجنة – النار – القيامة – المعاد – الجاهلية الخ، فهذه المفاهيم أغلبها كان مستخدماً في الجاهلية، ولكن الإسلام أعطاها مضامين جديدة، وأخضعها لتوجيهاته ورسالته وتعاليمه، وكان هذا عبر زمان مديد، وإصرار عتيد، وجهد جهيد؛ لأن "صياغة المفاهيم لها ثوابت معرفية مطلقة، ولها نواميس لغوية عامة"(٢٦). لقد كانت المفاهيم الإسلامية هي الخطوط العريضة التي تبرز جلياً مفاصل هذه الرسالة وأهدافها.

"إن السجل الاصطلاحي في كل فرع من العلوم هو الكشف المفهومي الذي يقيم للمعرفة سياجها المنطقي، بحيث يغدو الجهاز المفاهيمي لكل ضرب من العلوم صورة مطابقة لبنية قياساته، متى اضطرب نسقها اختل نظامها، وفسد باختلالها تركيبه، فتهافت بفعل ذلك أنسجته"(٢٧). وبسبب القوة والإحكام الذي امتاز به الجهاز المفهومي الإسلامي خرج الإسلام ظافراً في هذه المعركة اللغوية، فما إن قُذف بالمفاهيم الإسلامية في قلب المعركة حتى

---

(٢٦) "ال النقدي" د. عبد السلام المسدي، / ص ١٠.
(٢٧) السابق نفسه ص ١١.

راجت وانتشرت وسيطرت على سوق التداول، وبدأ التمايز يبدو واضحاً بين أهداف ومرادات الرسالة الجديدة، وما كان سائداً قبل ذلك.

إننا حين نتحدث عن المفهوم الإسلامي فلا بد أننا نقصد بالدرجة الأولى المفهوم القرآني فهو الأساس الذي تتفرع عنه كل المفاهيم الأخرى، وليس المفهوم القرآني "إلا مفردة من مفردات القرآن المجيد يشارك مثلها في تركيب الآية، وفي توجيه السياق الذي تمضي فيه الآية، لكنه يختلف عنها أو قل يتميز بقوة موقعه من الآية، وبالدور الفعّال الذي يقوم به في الإيحاء والإبلاغ، فالمفهوم يحتل مكاناً حصيناً بين المفردات الأخرى، ومثله مثل نقطة المركز من الدائرة، فكما أن كل شيءٍ في الدائرة يدور حول النقطة، وهي ثابتة مكانها، فكذلك هو شأن المفهوم، كل مفردة في الآية تدور حوله، لكأنه في الآية مثل القلب في الجسد، فكما أن القلب يُمدّ الجسد بالحياة في كل نبضة من نبضاته، وأن الأعضاء الأخرى لا تتحرك إلا بحركاته ودقاته، فكذلك المفهوم وإن المفهوم القرآني هو المفردة التي تُمسك بالحركة الرئيسية في الآية، ويبدو في النظرة الأولى قريباً من الفهم، ميسور التناول، والاجتناء، حتى إذا هم العقل بالتطاول إليه لم يرتد خائباً، وإنما عاد قوياً مشتدّاً، مشتاقاً، يتطلع إلى المزيد من الجني والقطاف"[٢٨]. وقد جنى العقل الإسلامي عبر مسيرته التاريخية ثماراً طيبة من الكتاب الكريم، على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، وقد تجلت التربية القرآنية في شخصية الرسول ﷺ بأبهى مظاهرها، وأعلى درجاتها فقد كان ﷺ "خلقه القرآن"[٢٩].

وقد انعكس ذلك على لغته وخطابه ﷺ، فلغة القرآن وبلاغته هي التي صنعت خطاب النبي ﷺ وحديثه، وهي التي وجهته وأحكمته، فجاء كلامه ﷺ ممزوجاً بروح القرآن الكريم، ومغموساً في رحيقه، ليصل في مستواه إلى أعلى درجة في سلم البلاغة البشرية، ثم يتوقف هناك حيث يبدأ الكلام الإلهي المعجز. ومن هنا ولأهمية المفهوم سننظر كيف كان النبي ﷺ يتعامل مع المفاهيم، وكيف يشتقها، وكيف كان يوجهها ويضمنها.

---

(٢٨) "ات قرآنية" د. صالح عضمية، ص ٧ – ٩.

(٢٩) الحديث: عن أبي الدرداء أنه سأل عائشة عن ذلك فقالت: كان خلقه القرآن يرضى لرضاه، و يسخط لسخطه " شعب الإيمان – البيهقي (ج ٢ / ص ١٥٤). ٢٤٦٤٥ ومسند أحمد بن حنبل (ج ٦ / ص ٩١)]. تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

المبحث الثالث
المفاجأة والجمْع

المطلب الأول
المفاجأة

لقد كان النبي ﷺ يتكلم أحياناً بالحديث وترد على لسانه كلمة بشكل مفاجئ يجهل الصحابة معناها، فيبادرون مباشرة إلى السؤال عنها، ولعل النبي ﷺ يعلم أنهم يجهلون ذلك فيسكت قليلاً ليعطيهم الفرصة للسؤال عن الكلمة الواردة، فهو يريد ذلك ويقصده من أجل تثبيت المعلومة وترسيخها في وعي المخاطبين، من ذلك حديث الرويبضة: عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم: (يَكُونُ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنُونَ خَوَادِعُ، يَكْثُرُ فِيهَا الْمَطَرُ، وَيَقِلُّ فِيهَا النَّبْتُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: (مَنْ لَا يُؤْبَهُ لَهُ)(٣٠).

ولا شك أن النبي ﷺ في هذه الكلمة المركزية – الرويبضة – لم يثبِّت الكلمة فقط، وإنما ثبَّت معناها ومعنى الكلمات السابقة واللاحقة لها، فهي بمثابة العلامة التي يتحدد بناء ما قبلها وما بعدها عليها، وهي ليست منفصلة عن السياق الذي وردت فيه، بل تربط أطرافه، وتشد مفاصله كما جاء في الحديث، فالسنوات الخدَّاعات، وانهيار القيم الأخلاقية، والجدب والقحط، يؤدي إلى هذه النتيجة التي يتسلط فيها الأشرار والسفهاء والدجاجلة، ويكون ذلك إرهاصاً لظهور الدجال الأخطر، فظهور الدجال ليس أمراً منفصلاً عن عالم الأسباب، وإنما تتهيأ الظروف والأحوال لخروجه من داخل البنية المنهارة والمتهالكة

---

(٣٠) الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب الفتن والملاحم ٤/ ٥١٢ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح.وفي المسند رقم ٧٨٩٩. وفي سنن ابن ماجه رقم ٤٠٣٦.

للمجتمع. ومن هذه المفاهيم التي تأتي عرضاً في حديثه ﷺ: مفهوم لكع ابن لكع: عن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعدَ الناس بالدنيا لُكَع بنُ لكع».(٣١). اللكع عند العرب: العبد، وقيل: هو اللئيم، وقيل: هو الوسخ القذر(٣٢). وهذا المفهوم يفيد معنىً قريباً من المعنى الذي مر معنا قبل قليل في حديث الرويبضة حيث يتسلط اللئام والسفهاء.

المطلب الثاني
المجموعات

أولاً – مجموعات وصفية:

وفي بعض الأحيان يكون المفهوم النبوي علامة لمجموعة من الخصال الحسنة؛ ترغيباً فيها، أو علامة لمجموعة من الخصال؛ تنفيراً أو ترهيباً منها، من ذلك في الجانب التنفيري: مفهوم "الجاهلية":

– فمفارقة الجماعة تؤدي إلى ميتة جاهلية: لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه؛ فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية"(٣٣). والخروج عن الطاعة، والموت بلا بيعة: جاهلية. «مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِىَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِى عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٣٤). والتكبر على الإخوان والأصحاب خلق جاهلي ذميم كما جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه: عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ مَرَرْنَا بِأَبِى ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً. فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِى وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ

---

(٣١) سنن الترمذي – (ج ٤/ ص ٤٩٣) رقم: ٢٢٠٩. وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.
(٣٢) "النهاية في غريب الحديث والأثر" ابن الأثير ٤/ ٥٤٦.
(٣٣) صحيح البخاري – (ج ٦/ ص ٢٥٨٨) رقم: ٦٦٤٦.
(٣٤) صحيح مسلم – (ج ٦/ ص ٢٢) رقم ٤٨٩٩.

إِخْوَانِى كَلَامٌ وَكَانَتْ أَمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَشَكَانِى إِلَى النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- فَلَقِيتُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ. قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[٣٥]. ولذلك يخاطب النبي ﷺ أولئك الذين تظهر فيهم بقايا الجاهلية في الخصومات والمشاجرات قائلاً على سبيل التوبيخ: "ما بال دعوى الجاهلية ؟" ثم ينهاهم منفراً "دعوها فإنها منتنة!"[٣٦].

وأما في الجانب الترغيبي فمن المفاهيم الجامعة لأصناف الخير والمعروف نجد مفهوم "الباقيات الصالحات" وهو تفسير لقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٣٧] وهو مفهوم شاملٌ لكل أفعال الخير والتقرب إلى الله عز وجل، ولكنه جُعل مقارناً بشكل مباشر لبعض الأذكار؛ كما جاء في الحديث، والمراد من ذلك: التعيين القريب لهذا المفهوم بهذه الأذكار زيادة في الحث والترغيب بها، دون أن يضيِّق ذلك من دلالة المفهوم الواسعة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ اَلْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - ﷺ - اَلْبَاقِيَاتُ اَلصَّالِحَاتُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، وَسُبْحَانَ اَللَّهِ، وَاَللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَللَّهِ -[٣٨].

---

(٣٥) صحيح مسلم - (ج ٥/ ص ٩٢) رقم: ٤٤٠٣

(٣٦) - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا في غزاة - قال سفيان مرة في جيش -: فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال (ما بال دعوى جاهلية). قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال (دعوها فإنها منتنة). صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٦١)رقم: ٤٦٢٢.

(٣٧) سورة الكهف آية ٤٦.

(٣٨) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ راجع "بلوغ المرام من أدلة الأحكام" لابن حجر العسقلاني ١/ ٥٩٧ رقم ١٥٤٥. رواه النسائي في "عمل اليوم والليلة" كما في"التحفة" (٣/ ٣٦٢)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم (١/ ٥١٢)، وهو ضعيف؛ لأنه من رواية دارج، عن أبي الهيثم.

إن هذا المفهوم يُراد منه تقريب الإنسان من الجانب العملي، حتى لا يبقى المفهوم عاماً فضفاضاً، فهذا التعيين والتحديد لا يلغي عمومية الباقيات الصالحات وشموليتها لكل الأعمال الصالحة، ولكنه فقط يؤكد على أهمية بعض العناصر لمن يريد أن يجني الثمرة بشكل مباشر.

ثانياً – مجموعات عددية :

إن هذا التقريب والتعيين يرد كثيراً في مجال الحصر العددي أيضاً ترغيباً أو ترهيباً، كهذه الأمثلة من حديثه ﷺ. ففي مجال الترهيب :

- **السبع الموبقات :** عن أَبي هريرة – رضي الله عنه –، عن النبيِّ – ﷺ –، قَالَ : "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ"! قالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ : "الشِّرْكُ باللهِ، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بالحَقِّ، وأكلُ الرِّبَا، وأكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ". متفق عَلَيْهِ.(٣٩). المُوبِقَاتِ : المُهْلِكات.

- **أربع من خصال النفاق :** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». غَيْرَ أَنَّ فِى حَدِيثِ سُفْيَانَ «وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»(٤٠).

وفي مجال الترغيب :

- **سبعة يظلهم الله في ظله :** عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِى الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِى اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ

---

(٣٩) صحيح البخاري رقم: ٢٦١٥ ومسلم رقم ٢٧٢.

(٤٠) صحيح البخاري (ج ٣/ ص ١١٦٠) رقم: ٣٠٠٧ ومسلم (ج ١/ ص ٥٦) رقم ٢١٩.

بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(٤١).

ويرد هذا الأسلوب كثيراً في حديث النبي ﷺ، وفائدته في جلب الانتباه، وإيقاظ الذهن، وتعزيز التركيز عن طريق ملاحظة العدد ومتابعة العدّ، والدوران بين الذات والمعدودات، فالمستمع لحديث السبعة يتابع تعداد الخصال واحدة واحدة، ويرجع إلى نفسه، وينظر هل له منها نصيب؟ وكذلك المستمع لحديث (ثلاثة لا ينظر الله إليهم) يعود إلى نفسه هل هو واقع في هذا التهديد؟ وكذلك المستمع لحديث أربع من كن فيه كان منافقاً، أو حديث آية المنافق ثلاث، فهذا الأسلوب في الحصر العددي يجعل المستمع يتفاعل مع الكلام بشكل أكثر.

ثالثاً – مجموعات متماثلة :

ويتخذ أسلوب الحصر العددي – أحياناً – طريقة الجمع بين المتشابهات أيضاً؛ بهدف تشغيل العقل، وحزم الأفكار في حزم مترابطة تظل ماثلة أمام الذاكرة، مثل: قطرتان، أثران، جرعتان وغير ذلك. ومن أمثلة هذا قوله ﷺ في الحديث الذي يرويه أَبو أُمَامَة صُدَيِّ بن عجلان الباهلي – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ، قَالَ: "لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلى اللهِ تَعَالَى مِنْ قطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطَرَةُ دُمُوع مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَقَطَرَةُ دَم تُهَرَاقُ في سَبيلِ اللهِ. وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ في سَبيلِ اللهِ تَعَالَى، وَأَثَرٌ في فَريضةٍ مِنْ فَرائِضِ الله تَعَالَى" رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ(٤٢).

وهي أمثلة من الواضح أنها تعبير عن خالص العبودية لله عز وجل، وربط بين ألوان مختلفة من العبادة: الرباط في سبيل الله، والبكاء من خشية الله، والصبر على حر المصائب والبلاء، والصبر على الظلم والعدوان من الإخوان. إن العبادة تنتهي إلى نتيجة واحدة بصاحبها وهي نيل رضوان الله عز وجل ومحبته، ولكن بشرط أن يكون الهدف منها واحداً، وهو الخلوص لوجه الله عز وجل، والتمحُّض لمرضاته سبحانه وتعالى.

---

(٤١) صحيح البخاري (ج ١/ ص ٢٣٤) رقم: ٦٢٩. ومسلم (ج ٣/ ص ٩٣) رقم: ٢٤٢٧.

(٤٢) سنن الترمذي باب: فضل المرابط ٤/ ١٩٠. رقم: ١٦٦٩.

ونبقى مع لون آخر من هذه المفاهيم النبوية التي تجمع بين المتشابهات أيضاً، وفيها الحث على بعض الأعمال الصالحة، أو التعليم أو التحذير أو التذكير، فمن ذلك في مجال الحث على الصلاة وقراءة القرآن: (البردان، الزهراوان):

- **البردان:** عن أَبُي جَمْرَةَ الضُّبَعِيُّ عَنْ أَبِى بَكْرٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ».(٤٣) البردان: الفجر والعصر.

-الزهراوان: عن أَبُي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ :«اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»(٤٤).

وفي مجال التحذير والترهيب نجد من هذه المفاهيم أيضاً :

- **اللاعنان أو الملاعن الثلاث :** عن أَبي هريرة - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ: اتَّقُوا اللَّاعِنَيْنِ، قالوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى في طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ في ظِلِّهِمْ. رواه مسلم(٤٥). وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ الْبَرَازَ فِى الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ»(٤٦).

- **الضعيفان:** عن أَبي شُرَيحٍ خُوَيْلِدِ بن عمرو الخزاعِيِّ - رضي الله عنه -

---

(٤٣) البخاري - (ج ١/ ص ٢١٠) رقم ٥٤٨. ومسلم - (ج ٢/ ص ١١٤) رقم: ١٤٧٠.

(٤٤) صحيح مسلم - (ج ٢/ ص ١٩٧) رقم: ١٩١٠.

(٤٥) سنن أبى داود (ج ١/ ص ١١). رياض الصالحين للإمام النووي - (ج ٢/ ص ٢٧٨).

(٤٦) سنن أبى داود (ج ١/ ص ١١) والمستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (ج ١/ ص ٢٧٣) رقم ٥٩٤. تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح.

قَالَ : قَالَ النَّبيّ – ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَينِ: اليَتِيم وَالمَرْأةِ"[٤٧] قال الإمام النووي: حديث حسن، رواه النسائي بإسناد جيد، ومعنى "أُحَرِّجُ": أُلْحِقُ الحَرَجَ وَهُوَ الإِثْمُ بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا، وَأُحَذِّرُ مِنْ ذلِكَ تَحْذِيراً بَليغاً، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زجراً أكيداً. وهكذا فإننا نجد النبي ﷺ لم يكن يدخر شيئاً في مجال تعليمه لأصحابه، ويستثمر الصواب والخطأ لتحقيق غاياته التعليمية والتربوية.

المبحث الرابع
الاستثمار الموسع

المطلب الأول
الاستثمار الترغيبي

هناك بعض المفاهيم المتبلورة من الناحية الشرعية في وعي الصحابة رضوان الله عليهم، ومعانيها واضحة الدلالة في أذهانهم، مثل : الإسلام، الإيمان، الإحسان، وقد بين النبي ﷺ معانيها في حديث جبريل الشهير الذي يرويه سيدنا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ : قال رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً". قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[٤٨].

---

(٤٧) سنن النسائي – باب حق المرأة على زوجها ٥/٣٦٣. رقم: ٩١٤٩سنن ابن ماجه – باب: حق اليتيم ٢/ ١٢١٣. رقم: ٣٦٧٨.

(٤٨) صحيح البخاري (ج ٤/ ص ١٧٩٣) رقم: ٤٤٩٩. ومسلم (ج ١/ ص ٢٨) رقم: ١٠٢.

ومثل الهجرة ومعناها معروف، وهو هجر الأهل والمال والديار والوطن، والالتحاق بالمسلمين في المدينة المنورة، والشهادة التي تعني بذل الروح في سبيل نصرة الإسلام، والجهاد الذي يعني حمل السيف ومقارعة الكفار في ساحات الوغى دفاعاً عن الدين والحق، وغيرها من المفاهيم الكثيرة التي أنشأها الإسلام، وأعطاها معاني جديدة، وشحنها بمضامين مختلفة عما كان في الجاهلية.

وأصبحت هذه المفاهيم ذات إيحاءات إيجابية ومؤثرة في نفوس السامعين، واستقرت معانيها الدقيقة أو لنقل الأصيلة في الوسط الإسلامي، وهنا يتجه النبي ﷺ إلى هذه المفاهيم مرة أخرى، ليستثمرها استثماراً جديداً، فهي صالحة لذلك، إنها بمثابة الأرض الخصبة التي تصلح للزراعة دائماً، وتنتج محاصيل متعددة ومتنوعة.

فالمسلم ليس هو من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فقط، وإنما هو من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن ليس من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره فقط، وإنما من أمنه الناس على أموالهم ودمائهم وأعراضهم، والمهاجر ليس من هجر الأهل والوطن والمال فقط، وإنما هناك لون جديد من الهجرة صالح لكل زمان ومكان وإنسان، وهو المعاصي والخطايا ولزوم طاعة الله عز وجل، أو هو من هجر نفسه الأمارة وأهواءها، ولحق بنفسه الطيبة الراضية.

إن هذا ما تبينه لنا أحاديث المصطفى ﷺ، ففي رواية عن سيدنا جابر بن عبد الله يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: "المُسْلِمُ منْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ"(٤٩). وليس المجاهد هو فقط من يقارع العدو في ساحات القتال حيث تتصافح السيوف وتتعانق الرماح، وإنما هناك معركة أخرى للجهاد هي معركة الحياة، والعمل، والصبر، والجرأة في مواجهة الطغاة والمستبدين، وقد جاءت هذه المعاني – أيضاً – في جملة من أحاديثه ﷺ:

---

(٤٩) البخاري (ج ١/ ص ١٣) رقم: ١١. ومسلم (ج ١ / ص ٤٨) رقم: ١٧١.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ فَتَعَجَّبُوا مِنْ خلقِهِ فَقَالُوا: لَوْ كَانَ هَذَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَتَوُا النَّبِىَّ ﷺ، قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْهِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدٍ صِغَارٍ فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيُغْنِيَهَا فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ»(٥٠). وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: "أَفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ" رواه أَبُو داود والترمذي، وَقالَ: "حديث حسن"(٥١).

وأيضاً ليس الشهيد هو – فقط – من يرتمي في أرض المعركة مجندلاً بدمائه، هذه الصورة التي يتمناها كل مؤمن عميق الإيمان، إذا كانت هذه هي الشهادة فقط فإن شهداء الأمة قلة قليلة إذن، ولذلك جاء في الأحاديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تَعُدُّونَ الشهيدَ فيكم؟ قالوا: يا رسول الله، مَنْ قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيدٌ، قال: إنَّ شُهدَاءَ أُمَّتي إذا لَقليلٌ، قالوا: فَمن هُمْ يا رسولَ الله؟ قال: من قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيدٌ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البَطْنِ فهو شهيد" قال ابنُ مِقْسَمٍ: أشهدُ على أبيك – يعني أبا صالح – أنَّهُ قال: "والغريق شهيدٌ». هذه رواية مسلم وفي رواية الموطأ، والترمذي: أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «الشهداءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، والْمَبْطُونُ، والغَرِقُ، وصاحبُ الهَدْمِ، والشهيدُ في سبيل الله»(٥٢).

وهكذا فإن النبيﷺ قد وسع مدلول الشهادة ليشمل أشكالاً كثيرة من أشكال الموت الذي قد يتعرض له المسلم. وبذلك تكون هذه المفاهيم بمثابة الأرض التي أنتجت محاصيل جديدة، إنها مفاهيم تحمل دلالات عميقة في نفوس المخاطبين، وذات آثار دافعة إلى العمل الإيجابي، فلماذا لا نوسع دائرتها، ونعمق حفرتها، لتعطي ثماراً أكثر نضجاً وطيباً، وأكثر تنوعاً.

---

(٥٠) السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي – (ج ٧ / ص ٤٧٩) رقم:١٦١٥٩.
(٥١) رياض الصالحين (ج ١/ ص ١٥٠).
(٥٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول – (ج ٢/ ص ٧٣٩) رقم: ١٢٤٠.

المطلب الثاني
الاستثمار الترهيبي

وهذا الأسلوب النبوي في استثمار المفاهيم كما وجدناه في الجانب الترغيبي، سواء أكان تعليماً أم وعظاً أم تذكيراً، كذلك نجده في الجانب المقابل أعني في جانب النهي والتحذير والترهيب، **ومن هذه المفاهيم :**

- **البخيل :** من المعروف: أن البخل خلق ذميم عند العرب، والبخيل شخص غير محبوب، وإن من أهم المآثر الخُلُقية التي يتغنى بها العرب في شعرهم ونثرهم هي الكرم، ويحرص كل عربي على أن لا يوصف بالبخل؛ لأنه عار اجتماعي قبل أن يكون عاراً دينياً ومذمة خلقية. فيتجه النبيﷺ لاستثمار هذا المعنى المستكن في الضمير العربي للحث على موقف ديني واستجابة إيمانية، فعن سيدنا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله ﷺ : «البخيلُ مَن ذُكِرْتُ عِندَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»(٥٣). فأصبح للبخل معنى جديداً، يضاف إلى المعنى المادي، وهو نكران الجميل، وجحود المعروف، وأي جميل وأي معروف ؟! إنه رسول الله ﷺ طريق النجاة الأبدية، وسبيل السعادة السرمدية.

- **أربى الربا:** عن سعيد بن زيد – رضي الله عنه –: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : «إن من أرْبى الرِّبا: الاستطالةُ في عِرْضِ المسلم بغير حق»(٥٤).

من المعروف أن الربا في الوعي الإسلامي يشكل جريمة كبرى يحرص المسلم على أن يبتعد عنها وعن أسبابها وعن دواعيها، وقد استقر هذا المعنى في ضمير الأمة؛ استجابة للتعاليم القرآنية والنبوية الفائضة في هذه المسألة، وقد أراد النبيﷺ أن يستثمر هذا المفهوم للتحذير من شكل آخر

---

(٥٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول (ج ٤/ ص ٤٠٦) رقم:٢٤٧٦.رياض الصالحين (ج ٢/ ص ١٢٤). سنن الترمذي (ج ٥/ ص ٥٥١) رقم: ٣٥٤٦. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال الشيخ الألباني:صحيح.

(٥٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول(ج ٨ / ص ٤٤٩) رقم:٦٢١٧سنن أبى داود (ج ٤/ ص ٤٢٠) رقم: ٤٨٧٨.

من أشكال العدوان على حرمة المسلم، فإذا كان أكل ماله عن طريق المراباة من أشد أنواع الحرام، فإن الاعتداء على عرضه لا يقل حرمة عن ذلك، بل إنه من "أربى الربا".

- **الشرك الخفي/ الشرك الأصغر**: إن الإسلام كله دعوة إلى توحيد الله عز وجل ونبذ للشرك، وقد حرص النبيﷺ على إبعاد الأمة عن كل ما يقرب أو يعيد الأمة إلى الوثنية بكافة أشكالها، حتى اطمأن النبي ﷺ إلى ذلك وقال: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ مِنْكُمْ بِمَا تَحْقِرُونَ"(٥٥).

وهنا ينبه النبي ﷺ أمته إلى عدم استصغار الذنوب؛ لأنها جميعاً صغائرها وكبائرها حبائل للشيطان يصطاد بها الناس. وقد وظف النبي ﷺ هذا المفهوم – الشرك الخفي أو الشرك الأصغر – للتحذير من مرض نفسي خطير يحبط العمل، ويهلك العامل، إنه الرياء: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟" قال: قلنا: بلى. فقال: "الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل"(٥٦). وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ "إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اَلشِّرْكُ اَلْأَصْغَرُ: اَلرِّيَاءُ" أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.(٥٧).

وبذلك يستثمر النبي ﷺ مفهوم الشرك الخفي أو الشرك الأصغر؛ ليحذر من مرض شديد الخطورة وهو الرياء، ويدفع النبي ﷺ بالمسلم إلى الرقابة الذاتية على مشاعره، وتمحيصها من الشواغل التافهة، والارتقاء بها إلى المدارك العليا، والمدارج السامية.

---

(٥٥) مسند أحمد (ج ١٤/ ص ٤٠٩) رقم: ٨٨١٠ تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥٦) الأدب المفرد – (ج ١/ ص ٢٥٠) رقم: ٧١٦. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٥٧) بلوغ المرام من أدلة الأحكام – (ج ١/ ص ٥٨٠) رقم: ١٤٨٤.

إن التحذير من الرياء تحت عنوان "الشرك" دعوة للمؤمن إلى ملاحظة الفيروسات الصغيرة والخفية، فهي خطيرة تتسلل إلى القلب فتشوش الإخلاص، وتعكر اليقين، ثم تدمر العمل من الداخل، وإن ظل شكله قائماً، وصورته جميلة، إنها دعوة للمؤمن إلى توحيد الهدف، والحذر من التفرق في الزوايا الهامشية، فيضيع الجهد، وينفرط العقد. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك"(٥٨) حين يكون الهدف معلوماً، والغاية واضحة، والطريق مستقيماً، والهمة عالية، فإن الوصول يكون قريباً إن شاء الله عز وجل.

- **المفلس:** عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ»؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ -فِينَا- مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ»(٥٩). فالإفلاس مفهوم تجاري، يتم تداوله في مجال البيع والشراء، والربح والخسارة، وهو عادة يطلق على من كان يملك ثم خسر فأفلس، كان غنياً فافتقر، ومن الواضح أن الإفلاس له وقع سلبي على أسماع المخاطبين، فهو يجلب شماتة الخصوم وفرحتهم، أو حزن الأصحاب والأحباب وأسفهم، ويستثير شفقة الآخرين غالباً، وهنا أراد النبي ﷺ أن يستثمر هذا المفهوم لتوجيه أصحابه إلى معنى آخر للإفلاس، يخدم المنظومة الأخلاقية الإسلامية، وخصوصاً في قضايا تشيع في نفس المجال التداولي لمفهوم الإفلاس، إنه مجال الدرهم والدينار، إنه السوق وما يحصل

---

(٥٨) المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص - (ج ٢/ ص ٤٨١) رقم: ٣٦٥٨. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح. وسنن ابن ماجه - (ج ١/ ص ٩٥) رقم: ٢٥٧. و (ج ٢/ ص ١٣٧٥) ورقم: ٤١٠٦. قال الشيخ الألباني: حسن.

(٥٩) صحيح مسلم - (ج ٨ / ص ١٨) رقم:٦٧٤٤.

فيه من ظلم وغدر وأكل للأموال بغير حق، واعتداء على الحرمات، وتضييع للأمانات. انظر: "**وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا**" وهذا غالباً يكون بسبب التنازع على الأموال والممتلكات، والإخلاف في الوعود، والغدر في العهود، وغيرها مما يحصل في الأسواق من أنواع المعاملات، فجاء الحديث محذراً من الإفلاس الحقيقي، إفلاسٌ من نوع آخر، ليس بعده ربح، إذ الإفلاس في الدنيا مؤقت، ومع ذلك فالناس يحذرونه ويخافونه ويحرصون على عدم الوقوع فيه، فكيف إذا كان هذا الإفلاس دائماً ؟! وتترتب عليه خسارة دائمة، وخزي عظيم، وخيبة ما بعدها خيبة ؟!. والحديث في الحقيقة يرسم صورة بليغة للأسف والحزن، فهو يرسم لك صورة رجلٍ يمتلك رصيداً ضخماً من الحسنات ولكنها تذهب لغيره ممن ظلمهم في دنياه؛ فتكون عاقبته السجن، وأي سجن ؟! إنه نار جهنم، هذه هي صورة المفلس يوم القيامة، تتجسد في حديث النبي ﷺ بشكل مرعب.

- إن استثمار المفاهيم القريبة من واقع الإنسان الحياتي، والمتصلة بمعاشه وحركته اليومية شائع في الخطاب النبوي؛ لأنها أبلغ في الموعظة، وأوكد في التأثير، وهذا ما نجده في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٦٠] فكلمات البيع والشراء، والوعد بالربح المضاعف والثواب الجزيل كلمات مغرية للإنسان وداعية له إلى المنافسة والعمل، ومن ذلك: وصفه ﷺ للجنة بأنها: "سلعة الله" عن أَبي هريرة – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: "مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ. ألا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ"[٦١]. وقوله لأبي

---

(٦٠) سورة التوبة آية: ١١١.

(٦١) سنن الترمذي – (ج٤/ص ٦٣٣) رقم: ٢٤٥٠. رياض الصالحين (ج ١/ ص ٢٦٠).

طلحة رضي الله عنه حين تصدق ببيرحاء "ذلك مال رابح"[٦٢]، وكذلك قوله ﷺ لصهيب رضي الله تعالى عنه حين ترك ماله للمشركين ولحق بالنبي ﷺ مهاجراً إلى مكة: "ربح البيع أبا يحيى"[٦٣].

المبحث الخامس
المفهوم التصحيحي

المطلب الأول
التصحيح بقلب المفاهيم

ويوجه النبي ﷺ – أحياناً – إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة، وإفراغ هذه المفاهيم من المعاني السلبية وتضمينها معاني جديدة تنسجم مع النظام الخلقي المتكامل في الإسلام كما في المفاهيم الآتية:

- **الشديد [القوي]**: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». وفي رواية أخرى عنه رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ». قَالُوا: فَالشَّدِيدُ أَيُّمَ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»[٦٤]. وهنا يكشف النبي ﷺ عن المعنى الآخر للقوة وهو قوة الإرادة، وقوة النفس والسيطرة على الأعصاب، وكبح جماع القوة الغضبية المتهاجة.
- **النصرة**: أما مفهوم النصرة فقد أراد النبي ﷺ أن يصححه لأصحابه ولكن عبر إثارة استغرابهم أولاً، وتحريك أذهانهم نحو الاستفسار، وذلك حين قال

---

(٦٢) البخاري (ج ٢/ ص ٥٣٠) رقم: ١٣٩٢. ومسلم (ج ٣/ ص ٧٩) رقم ٢٣٦٢.
(٦٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص – (ج ٣/ ص ٤٥٠) رقم: ٥٧٠٠. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. تعليق الذهبي قي التلخيص: سكت عنه الذهبي في التلخيص.
(٦٤) صحيح البخاري (ج ٥/ ص ٢٢٦٧) رقم: ٥٧٦٣. ومسلم – (ج ٨/ ص ٣٠) رقم: ٦٨٠٩ و ٦٨١٠.

ﷺ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً" وهنا كأن النبي ﷺ استفز ضمائرهم وحرك معنى لم يعهدوه ولم يألفوه في تعاليم النبوة. فبادروا مباشرة إلى السؤال: يَا رَسُول اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُوماً، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِماً كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ - أَوْ تَمْنَعُهُ - مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذلِكَ نَصرُهُ"(٦٥).

عندئذ يبين لهم النبي ﷺ أن النصرة ليست في حمل السلاح بشكل عشوائي دون تثبت، والمشاركة في القتال والخصام، وإنما في كف أخيك عن ظلمه حين يكون ظالماً، وفي ردعه عن عدوانه حتى يكون معتدياً، فهذا النصر له من أعظم أنواع النصر؛ لأنك بذلك تكون نصرته على نفسه وعلى غريزته الغضبية والانتقامية التي قلما تأتي بخير للإنسان في الدنيا أو الآخرة، فتكون أنت بذلك قد حميته من أذى خصومه إن كانوا أقدر منه وأقوى على إلحاق الأذى به، أو تكون قد حميته من الوقوع في سخط الله عز وجل إن كان قادراً على الفتك بخصومه على سبيل الظلم والانتقام حين تكفه وتمنعه عن ذلك.

- **الجمال والكبر:** يفك النبي ﷺ الاشتباك بين الجمال والكبر؛ حتى لا يلتبس أحدهما بالآخر في أذهان الصحابة رضوان الله عليهم. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»(٦٦).

المطلب الثاني
التصحيح بالسؤال

يتحدث التربيون عن أهمية الابتداء بإثارة الأسئلة في العقل حين يريد المعلم أن يضيف لرصيد التلاميذ معلومات جديدة، أو يعدل في معلوماتهم القديمة، أو يرسخ لديهم بعض المعلومات المعروفة. وهكذا كان يفعل النبي ﷺ فيبادر ويسأل سؤالاً ثم ينتظر الإجابة.

---

(٦٥) صحيح البخاري - (ج ٦/ ص ٢٥٥٠) رقم: ٦٥٥٢

(٦٦) صحيح مسلم - (ج ١/ ص ٦٥) رقم: ٢٧٢.

- **الغيبة**: ومن أمثلة ذلك: قوله ﷺ في الحديث الذي يرويه سيدنا أَبِو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». ولعل النبي ﷺ يدرك أن هذا المعنى، أو هذا التعريف للغيبة سيثير فيهم السؤال اللاحق؛ لأنه من النوع الذي يتبادر إلى الذهن فوراً، وهذا ما تجده الآن حين تنهى إنساناً أمّياً أو أحياناً مثقفاً، عن الغيبة فيقول لك: إن ما أقوله فيه، ولم أظلمه، وهكذا جاء السؤال: "قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِى أَخِى مَا أَقُولُ ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ،وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[٦٧]. وهكذا يسرع النبي ﷺ إلى فك الالتباس بين الغيبة والبهتان، ويصحح المعنى الحقيقي للغيبة، ويضيف إليه معنىً أشد خطورة وهو الافتراء والبهتان.

- **الرقوب**: ومثل ذلك سؤاله ﷺ عن الرقوب فهو ﷺ في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ»؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِى لَا يُولَدُ لَهُ. قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِى لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئاً». قَالَ «فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ». قَالَ: قُلْنَا: الَّذِى لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قَالَ: «لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»[٦٨]. وبذلك نجد أن النبي ﷺ يسأل أصحابه عدداً من الأسئلة ليصحح لهم بعض المفاهيم المغلوطة، كما أنه ﷺ يسعى – أيضاً – إلى إخراجهم من المادية الدنيوية التي تسيطر عادة على الإنسان فتصبح هي الأساس في تعامله، وهي المقياس في نظرته للحياة، فهو يوجه نظرهم إلى الحياة الآخرة التي يُفترض أن تأخذ الاعتبار الأكبر. وهكذا يعكس النبي ﷺ المعنى؛ ليرسخ في أذهانهم المعنى الأخروي، فليس المعيار في الأحكام هو هذه الحياة الدنيا فقط، لأن الآخرة هي – أيضاً – جزء من حياة الإنسان ومستقبله، وإنها لهي الجزء الأهم والجوهري قال جل شانه: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟

---

(٦٧) صحيح مسلم (ج ٨/ ص ٢١) رقم: ٦٧٥٨. والموطأ – رواية يحيى الليثي (ج ٢/ ص ٩٨٧) رقم: ١٧٨٦.

(٦٨) صحيح مسلم – (ج ٨/ ص ٣٠) رقم: ٦٨٠٧.

يَعْلَمُونَ﴾[٦٩]. إن النبي ﷺ يقصد - فيما يظهر - من هذه الأسئلة أن ينتبه المخاطبون إليه فيستعدوا للتلقي، كما أنه ﷺ يهيئهم - بهذا السؤال - للاندماج مع خطابه التربوي وما يحمله من مفاهيم وتعاليم ومواعظ ترغيبية أو ترهيبية.

المبحث السادس
التكرار والتنويع

المطلب الأول
التكرار

إن للتكرار أهمية خطيرة في تثبيت المعلومات، بل وفي تقريبها إلى العقول والقلوب من الناحية النفسية، يقول غوستاف لوبون: "إن التوكيد والتكرار عاملان قويان في تكوين الآراء وانتشارها، وإليهما تستند التربية في كثير من المسائل، وبهما يستعين رجال السياسة والزعماء في خطبهم كل يوم، ولا يحتاج التوكيد إلى دليل عقلي يدعمه، وإنما يجب أن يكون التوكيد حماسياً وجيزاً ذا وقع في النفس... والتوكيد لا يلبث بعد أن يُكرَّر تكراراً كافياً أن يُحدِث رأياً ثم معتقداً، والتكرار تتمة التوكيد الضرورية، ومن يُكرر لفظاً أو فكرة أو صيغة تكراراً متتابعاً يحوّله إلى معتقد"[٧٠]. ولذلك نجد أن القرآن الكريم يكرر القصص القرآني في أماكن عديدة بصياغات مختلفة، لأن الشحن حين يكون على دفعات متفرقة يكون أبقى أثراً وأجدى نفعاً.

وقد سلك النبي ﷺ هذا المنهج القرآني في التكرار، فكان يعيد أحاديثه في مناسبات مختلفة، وأماكن متنوعة؛ ليعيَ الناس عنه، وليبلغ الشاهد الغائب؛ وليتعدد الحفّاظ. وفي أحيان كثيرة يكون التكرار منه ﷺ للمبالغة في الوصية، والتأكيد على الأهمية، كما جاء في خُطبته ﷺ في حجة الوداع " فإن دماءكم

---

(٦٩) سورة العنكبوت آية: ٦٤.

(٧٠) انظر: غوستاف لوبون "الآراء والمعتقدات" ص ١١٥، ١١٦.

وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا". فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال "اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت"[٧١]. اللهم اشهد – ثلاثاً[٧٢].

وكما جاء في مرضه الذي توفي فيه ﷺ عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: "الصلاة وما ملكت أيمانكم". فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه"[٧٣]. أو يكون التكرار للمبالغة في الزجر والتخويف كما في تحذيره من شهادة الزور. عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ – ثَلَاثاً –: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ، فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ"[٧٤].

وهنا يجب أن لا نغفل عن المؤكدات والمحفزات التي يتضمنها هذا الحديث: فقد كرر النبي ﷺ السؤال ثلاث مرات "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟" ثم أعطى وصيته أهمية كبرى حين تحرك حركة فهم منها الصحابة خطورة الموضوع "وكان متكئاً فجلس" إنها صورة من بلاغة الاهتمام تضفي على موعظته ﷺ رسوخاً أكبر يتركز في وعي المخاطبين، ثم أتبع ذلك بتكرار مستمر "فما زال يكررها" حتى أشفق الصحابة رضوان الله عز وجل عليهم على النبي ﷺ من هذا الحرص، كما أشفقوا على أنفسهم من عظمة الأمانة التي حُمّلوها.

ومن الأمثلة على هذا التكرار الوعظي البليغ أيضاً: ما حدث مع سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنه حين قتل رجلاً في المعركة بعد أن نطق بالشهادتين: "فبَلَغَ ذلِكَ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ لِي: يَا أُسَامَة، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إلهَ إلَّا اللهُ ؟! قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إِنَّمَا كَانَ متعوِّذاً، فَقَالَ: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إلهَ إلَّا

---

(٧١) صحيح البخاري – (ج ٢/ ص ٦١٩) رقم: ١٦٥٢.
(٧٢) البخاري (ج ٤/ ص ١٥٩٨) رقم: ٤١٤١ ورقم: ٦٤٠٣. ومسلم (ج ٤/ ص ٣٩) رقم: ٣٠٠٩.
(٧٣) سنن ابن ماجه – (ج ١/ ص ٥١٩) رقم: ١٦٢٥.
(٧٤) صحيح مسلم – (ج ١/ ص ٦٤) رقم: ٢٦٩.

اللهُ ؟!. فما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ اليَوْمِ[٧٥].

لقد أراد النبيﷺ في هذا الحديث أن يعلم أمته دروساً مهمة جداً:

الدرس الأول: ترسيخ التوحيد: أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ إن هذه الشهادة تعصم قائلها من القتل لأنه أصبح موحداً لله عز وجل. وفي هذه الكلمة درس بليغ في أهمية لا إله إلا الله، ورسالة مهمة لدعاة التكفير والقتل.

الدرس الثاني: نهي عن القتل؛ لأن الجهاد ليست الغاية منه سفك الدماء وإذلال الناس، بل الغاية منه إقامة العدل، وحفظ الأنفس والأموال والأعراض، وكلمة التوحيد هي الحصن الذي يلوذ به كل أفراد الأمة.

الدرس الثالث: الحمل على الظاهر، فنحن لسنا مطالبين بالتفتيش عن ضمائر الناس، وليست مهمتنا أن نشق عن قلوبهم، ونبحث في مكنونات أنفسهم، فلنا الظاهر والله يتولى السرائر.

المطلب الثاني
التنويع

ويأتي التنويع في الوصف – أحياناً – مع التكرار؛ ليكون ذلك أبلغ في التأثير أمراً وحثاً، أو نهياً وتحذيراً، كما في نهيهﷺ عن بعض المعاصي والمنكرات تحت مفاهيم متنوعة مبالغة في النهي والتخويف، فأحياناً: السبع الموبقات. وأحياناً: الكبائر كذا.. وأحياناً: أكبر الكبائر، وأحياناً: الحالقة. وأحياناً: ثلاثة لا ينظر الله إليهم، وأحياناً: لا يدخل الجنة[٧٦].

---

(٧٥) البخاري – (ج ٤/ ص ١٥٥٥) رقم: ٤٠٢١. ومسلم – (ج ١/ ص ٦٧) ٢٨٧.

(٧٦) (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ). القتات: النمام. مسلم (ج ١/ ص ٧١) رقم: ٣٠٤. (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ). مسلم (ج ١/ ص ٤٩) رقم: ١٨١. (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ). البخاري (ج ٥/ ص ٢٢٣١) رقم: ٥٦٣٨. ومسلم (ج ٨/ ص ٨) رقم: ٦٦٨٥.

المبحث السابع
الوصف الجذاب والمنفر

المطلب الأول
الوصف الجذاب أو الجميل

وفي أغلب الأحيان يأتي المفهوم في الخطاب النبوي وصفاً وتفسيراً، ويكون الوصف إما وصفاً جذاباً جميلاً، أو يكون منفراً مخيفاً، وكذلك التفسير يكون إما ترغيبياً أو ترهيبياً، وفي الغالب يسبق الوصفُ والتفسيرُ الموصوفَ والمفسرَ، وذلك لمزيدٍ من جلب الانتباه، وترسيخ المعنى في الأذهان. والهدف دائماً يندرج في السياسة الكلية للإسلام والقائمة على إتمام مكارم الأخلاق، ومن هذه المفاهيم:

- "**مخموم القلب**": عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ"(٧٧).

- **ومن ذلك: مفهوم** "**الغرباء**": عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، قِيلَ: وَمَنْ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: النُّزَّاعُ مِنْ الْقَبَائِلِ"(٧٨) ومعنى الغرباء: المهاجرون الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى(٧٩)، ومنها أيضاً

---

(٧٧) سنن ابن ماجه – (ج ٢/ ص ١٤٠٩) رقم: ٤٢١٦. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٧٨) مسند الإمام أحمد – (ج ٦/ ص ٣٢٥) رقم الحديث: ٣٧٨٤. و(ج ١/ ص ٣٩٨) ورقم: ٣٧٨٤ تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناد أحمد صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات، رجال الشيخين، غير أبي الأحوص فمن رجال مسلم، وإسناد ولده صحيح. سنن الدارمي (ج ٢/ ص ٤٠٢) رقم: ٢٧٥٥. قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح. سنن ابن ماجه (ج ٢/ ص ١٣٢٠) رقم: ٣٩٨٨. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٧٩) شرح النووي على مسلم – (ج ٢/ ص ١٧٧).

"القوارير": "رويدك يا أنجشة، لا تكسر القوارير"[٨٠]. قال: قتادة يعني ضعفة النساء. ومن المفاهيم الجميلة الجذابة أيضاً نجد:

- **رياض الجنة:** عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِذَا مررتم برياض الجنة فارتَعوا، قلتُ: يا رسول الله، وما رِياضُ الجنة؟ قال: المساجد، قلتُ: وما الرّتْعُ؟ قال رسولُ الله ﷺ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». وفي روايةٍ مثله، وفيه: قالوا: وما الرَّتْع؟ قال: ذكر الله تعالى[٨١]. وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مَرَرتُم بِرياضِ الجنَّة فَارتَعُوا، قالوا: وما رِياضُ الجنة؟ قال: حِلَقُ الذِّكرِ»[٨٢].

لقد أثار النبي ﷺ بعبارته هذه - رياض الجنة - داعية السؤال عند الصحابة، فالأمر بالفعل يستدعي السؤال والاهتمام، فمن من الناس لا يحب الرياض والبساتين والأنهار الجارية؟ فكيف إذا كانت هذه الرياض من الجنة؟ والمثير في ذلك أيضاً قوله ﷺ: "فارتعوا"، والرتع من صفات البهائم كالمواشي والأبقار وغيرها، فهي حين تمر على زرع أو عشب ترتع فيه دون تردد، وتنشغل كل دابة بنفسها في اجترار الأعشاب والزروع. وما أجمله من منظر أن ترى قطيعاً من الأغنام وهي مقبلة على الرعي في وسط حقل من الزرع والثمار لا تكاد الواحدة منها تُكعّ[٨٣] أو تُحجز من قبل راعيها إلا بشق النفس. وكأن النبي ﷺ يدعو المؤمن إلى الإقبال على الذكر

---

(٨٠) البخاري (ج ٥/ ص ٢٢٩٤) رقم: ٥٨٥٧. ومسلم (ج ٧/ ص ٧٩) رقم: ٦١٨٥.

(٨١) جامع الأصول في أحاديث الرسول (ج ٤/ ص ٣٧٧) رقم: ٢٤٢٥. قال أيمن صالح شعبان: حسن لشواهده.

(٨٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول (ج ٤/ ص ٤٧٨) رقم: ٢٥٦٧. سنن الترمذي (ج ٥/ ص ٥٣٢) رقم: ٣٥١٠. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقال الشيخ الألباني: حسن.

(٨٣) كعّ: كفّ. كع: الكاف والعين أصلٌ صحيحٌ، يدلُّ على حَبسٍ واحتباس. يقال: رجلٌ كَعٌّ، وكاعٌّ، أي جبانٌ. وقد أكَعَّه الفَرَق عن الأمر. معجم مقاييس اللغة - (ج ٥/ ص ١٠٥). أكع فلانا: جبنه وخوفه، والخوفُ فلاناً حبسه عن وجهه ورده عنه. المعجم الوسيط - (ج ٢/ ص ٧٩٠).

الجماعي دون تردد، وأن يسارع إلى اقتناص الفرصة في اكتساب الأجر العظيم، والثواب الجزيل، فهذه المجالس أشبه ما تكون برياض الجنة التي يتمناها كل الناس، ويحرصون على الابتهاج في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني
الوصف التنفيري

وهناك مفاهيم وصفية منفرة يستخدمها النبي ﷺ للحث على الترك والاجتناب، فمن ذلك: وصفه ﷺ للخمر بأنها "**أم الخبائث**" وقد أصبح هذا المفهوم عنواناً للخمر في وجدان الأمة يحفظه المسلمون، ويعيه العلماء والعوام. جاء عن سيدنا عثمان بن عفان أنه قال: سمعت النبيﷺ يقول: "اجتنبوا أم الخبائث ... فإنه والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر في صدر رجل أبدا ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه"(٨٤). وجاء أيضاً: "الخمر أم الخبائث، فمن شربها لم يقبل الله منه صلاة أربعين يوماً، وإن مات وهى فى بطنه مات ميتة جاهلية"(٨٥).

وإذا ما تذكر المؤمن الوصف الآخر المخيف والمقترن بأم الخبائث **وهو** "**طينة الخبال**" فإن ذلك يشكل وازعاً بليغاً، ورادعاً قوياً لاجتناب الخمر والابتعاد عنه. عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قال قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْداً لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ»(٨٦).

ومن هذه المفاهيم المنفرة أيضاً: "**التيس المستعار**" فهو تيس، وهو

---

(٨٤) صحيح ابن حبان (ج ١٢/ ص ١٦٨) ٥٣٤٨. سنن النسائي (ج ٨/ ص ٣١٥) ٥٦٦٦. قال الشيخ الألباني: صحيح موقوف.

(٨٥) جامع الأحاديث (ج ١٢/ ص ٤١٧) ١٢٢١٥. أخرجه: الطبراني في الأوسط (٤/ ٨١، رقم ٣٦٦٧)، والدارقطني (٢٤٧/٤)، والقضاعي (٦٨/١، رقم ٥٧) قال المناوي (٥٠٨/٣): فيه الحكم بن عبد الرحمن البجلي أورده الذهبي في الضعفاء وقال: مختلف فيه. وقال العجلوني (٤٥٩/١): رواه القضاعي بسند حسن.

(٨٦) صحيح مسلم (ج ٦/ ص ١٠٠) رقم: ٥٣٣٥.

مستعار أيضاً، وهذا لون من التربية النبوية التي تدغدغ شعور الإنسان بالكرامة، وتخاطب إحساسه بالحرية، فالمؤمن لا يرضى أن يكون تيساً يُقاد من رقيته؛ ليقضي حاجة دنيئة لغيره، ثم تُنهى مهمته أيضاً من قبل غيره، دون أن يكون له خيار في العقد أو الحل. عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ :«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ؟». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُوَ؟ قَالَ: «الْمُحِلَّ، لَعَنَ اللَّهُ الْمُحِلَّ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ»(٨٧).

وتجري على لسان النبي ﷺ بعض الأوصاف التي تحمل دلالات وعظية وترهيبية أكثر من كونها تنفيرية فقط، من ذلك: وصفه للموت بأنه "**هاذم اللذات**" : عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ "أكثروا ذكر هاذم اللذات" يعني الموت(٨٨). ووصفه لليمين الكاذبة **باليمين الغموس**؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم والنار: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النَّبيّﷺ قَالَ:" الكَبَائِرُ: الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْس، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ "(٨٩). ومن المفاهيم التنفيرية والوعظية مفهوم: "**الديوث**": فقد جاء من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق بوالديه، والديوث، ورجلة النساء"(٩٠).

---

(٨٧) المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (ج ٢/ ص٢١٧) رقم الحديث: ٢٨٠٤. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح. السنن الكبرى للبيهقي، وفي ذيله الجوهر النقي (ج٧/ ص ٢٠٨) رقم الحديث: ١٤٥٧٢. سنن ابن ماجه (ج ١/ ص ٦٢٣) رقم الحديث: ١٩٣٦. قال الشيخ الألباني: حسن.

(٨٨) الترمذي (ج ٤/ ص ٥٥٣) رقم: ٢٣٠٧ قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب. سنن ابن ماجه (ج ٢/ ص ١٤٢٢) رقم الحديث: ٤٢٥٨. والنسائي (ج ٤/ ص ٤) رقم: ١٨٢٤.قال الشيخ الألباني: حسن صحيح. وابن حبان (ج ٧/ ص ٢٥٩) رقم الحديث: ٢٩٩٢. المسند (ج ٢/ ص ٢٩٢) رقم الحديث: ٧٩١٢. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٨٩) البخاري (ج ٦/ ص ٢٤٥٧) رقم: ٦٢٩٨.

(٩٠) المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (ج ١/ ص ١٤٤) رقم الحديث: ٢٤٤. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح الإسناد.

المبحث الثامن
قوة الكلمة في الحديث النبوي

إن الكلمة في الإسلام لها أهمية عظمى؛ لأنها تعبر عما في مكنون الإنسان، فهي الترجمان الذي يكشف لنا عن حقيقة هذا الإنسان وجوهره، كما أن للكلمة أثراً في صنع الإنسان إيجاباً أو سلباً، فهي تحفزه على الخير أو تثبطه، وتنهاه عن الشر أو تغريه؛ ولذلك جاء التحذير الشديد من المجازفة في الكلام دون تثبت. فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِى بِهَا فِى النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»(٩١). وعن بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ(٩٢).

لأن هذه الكلمة سيكون لها أثرٌ في الواقع، فهي تبني أو تهدم، تحفز أو تثبط، تهدي أو تُضل، ولذلك نهى النبي ﷺ عن كلمة "لو"؛ لأنها تفتح عمل الشيطان، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٩٣). كلمة "لو" تدل أولاً على خورٍ في العزيمة، وتدنٍّ في الهمة، وهي تثير في الآخرين أيضاً دواعي الأسف والحزن، وتجلب اليأس والإحباط، وعلى الإنسان أن لا يلتفت إلى الوراء باكياً يائساً، وإنما عليه أن يعمل بما يستطيع فـ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

---

(٩١) البخاري – (ج ٥/ص ٢٣٧٧) رقم: ٦١١٢.مسلم – (ج ٨/ص ٢٢٤) رقم: ٧٦٧٣.

(٩٢) موطأ مالك (ج ٥/ ص ١٤٣٥) رقم: ٣٦١٢. والبخاري (ج ٥ / ص ٢٣٧٧) رقم: ٦١١٣.

(٩٣) صحيح مسلم – (ج ٨/ ص ٥٦) رقم: ٦٩٤٥.

وُسْعَهَا﴾[٩٤]. فالمطلوب إنما هو الالتزام بالأوامر واجتناب النواهي بحسب القدرة والاستطاعة، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا». فَقَالَ: رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثاً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ - ثُمَّ قَالَ: - ذَرُونِى مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَىْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَىْءٍ فَدَعُوهُ»[٩٥].

إن التهرب من العمل والمسؤولية لدى كثير من الناس يكون إلى التفريع والتشقيق وكثرة السؤال، والبحث عن الإشكالات، وإثارة الاختلافات، لشغل الوقت، بينما يُرمى بالواضح البين إلى سلة الإهمال والتسويف. إن المنهج النبوي يدعو المؤمن إلى التعامل مع الواقع طبقاً لـ "فن الممكن".

وإن أهمية الكلمة وخطورتها هي التي تجعل النبي ﷺ يتوقف فلا يقول نعم للسائل - كما في الحديث السابق -؛ حتى لا يُحمّل أمته تكليفاً شاقاً عليها، وأهمية الكلمة هي التي تجعل النبي ﷺ يتوقف حتى عن إتمام الشطر الآخر من الكلمة فيقول: "كفى بالسيف شا" فقد روي عن الحسن: في الرجل يجد مع امرأته رجلا قال: قال رسول الله ﷺ "كفى بالسيف شا" يريد أن يقول شاهداً هذا، فلم يتم الكلمة حتى قال: "إذاً يتتابع فيه السكران والغيران"[٩٦]. يتتابع:

---

(٩٤) سورة البقرة آية ٢٨٦.

(٩٥) البخاري - (ج ٦/ ص ٢٦٥٨) رقم: ٦٨٥٨. ومسلم - (ج ٤/ ص ١٠٢) رقم: ٣٣٢١.

(٩٦) جامع الأحاديث - (ج ٤٠/ ص ٣٤٨) رقم: ٤٣٨٤٦. مصنف عبد الرزاق - (ج ٩/ ص ٤٣٤) رقم: ١٧٩١٨. وجاءت روايات للحديث في سنن أبي داوود وابن ماجه عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ. فَقَالَ نَاسٌ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: يَا أَبَا ثَابِتٍ قَدْ نَزَلَتِ الْحُدُودُ، لَوْ أَنَّكَ وَجَدْتَ مَعَ امْرَأَتِكَ رَجُلاً كَيْفَ كُنْتَ صَانِعاً؟ قَالَ: كُنْتُ ضَارِبَهُمَا بِالسَّيْفِ حَتَّى يَسْكُتَا، أَفَأَنَا أَذْهَبُ فَأَجْمَعُ أَرْبَعَةَ شُهَدَاءَ! فَإِلَى ذَلِكَ قَدْ قَضَى الْحَاجَةَ. فَانْطَلَقُوا فَاجْتَمَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ أَلَمْ تَرَ إِلَى أَبِى ثَابِتٍ قَالَ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كَفَى بِالسَّيْفِ شَاهِداً). ثُمَّ قَالَ (لَا، لَا، أَخَافُ أَنْ يَتَتَايَعَ فِيهَا السَّكْرَانُ وَالْغَيْرَانُ). قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَوَى وَكِيعٌ أَوَّلَ هَذَا الْحَدِيثِ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ دَلْهَمٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ حُرَيْثٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْمُحَبَّقِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَإِنَّمَا هَذَا إِسْنَادُ حَدِيثِ ابْنِ الْمُحَبَّقِ أَنَّ رَجُلاً وَقَعَ عَلَى جَارِيَةِ امْرَأَتِهِ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: الْفَضْلُ =

يسرع وأكثر استعماله في الشر. فالنبي ﷺ يحذر السامعين من اللجوء إلى السيف في حالة من الاستعجال والتهور؛ لأن في ذلك خطراً على حياة الناس ودمائهم، وتوضح ذلك تتمة الحديث، ولهذه الأهمية ذاتها يلجأ النبي ﷺ إلى تغيير بعض الأسماء؛ لما لها من إيحاءات نفسية تترك آثاراً سلبية إما في نفوس المخاطبين، أو في نفوس أصحابها الذين يُسمَّون بها. – **فيدعو أولاً إلى اختيار أسماء حسنة وجميلة** :عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ، فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ».(٩٧) وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»(٩٨).

– **ويغير الأسماء القبيحة إلى أسماء جميلة :** عن عائشة رضي الله عنها "أن النبي ﷺ كان يغير الاسم القبيح"(٩٩)، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺغَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ وَقَالَ «أَنْتِ جَمِيلَةٌ».(١٠٠) وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِى سَلَمَةَ سَأَلَتْهُ مَا سَمَّيْتَ ابْنَتَكَ قَالَ: سَمَّيْتُهَا بَرَّةَ، فَقَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ هَذَا الاِسْمِ، سُمِّيتُ بَرَّةَ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ». فَقَالَ: مَا نُسَمِّيهَا قَالَ: «سَمُّوهَا زَيْنَبَ»(١٠١).

وعن أُسَامَةَ بْنِ أَخْدَرِىٍّ أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ: أَصْرَمُ كَانَ فِى النَّفَرِ الَّذِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَا اسْمُكَ». قَالَ :أَنَا أَصْرَمُ. قَالَ «بَلْ أَنْتَ زُرْعَةُ»(١٠٢).

= ابْنُ دَلْهَم لَيْسَ بِالْحَافِظِ، كَانَ قَصَّاباً بِوَاسِطَ. سنن أبى داود – (ج ٤/ص ٢٥٠) رقم: ٤٤١٩. وقد علق الألباني على هذه الرواية بقوله: ضعيف.

(٩٧) سنن أبى داود – (ج ٤/ ص ٤٤٢) رقم: ٤٩٥٠.قال الألباني: ضعيف.

(٩٨) سنن أبى داود – (ج ٤/ ص ٤٤٣) رقم: ٤٩٥١. قال الألباني: صحيح.

(٩٩) سنن الترمذي – (ج ٥/ ص ١٣٥) رقم: ٢٨٣٩. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(١٠٠) سنن أبى داود – (ج ٤/ ص ٤٤٣) رقم: ٤٩٥٤. سنن الترمذي – (ج ٥/ ص ١٣٤) رقم: ٢٨٣٨. قال الألباني: صحيح. سنن الدارمي – (ج ٢/ ص ٣٨١) رقم: ٢٦٩٧. قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

(١٠١) سنن أبى داود – (ج ٤/ ص ٤٤٣) رقم: ٤٩٥٥. قال الألباني: حسن صحيح. سنن الدارمي – (ج ٢/ ص ٣٨١) رقم: ٢٦٩٨. قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

(١٠٢) سنن أبى داود – (ج ٤/ ص ٤٤٣) رقم: ٤٩٥٦. قال الألباني: صحيح.

إن هذا المنهج النبوي في تغيير الأسماء يلفت نظرنا بشدة إلى أهمية وقع الكلمة في النفس، والآثار السلبية التي تتركها الكلمات القبيحة في وعي أو لاوعي الإنسان، وعلينا أن نراعي ذلك في خطابنا الجدلي والتربوي والدعوي والتعليمي. والله أعلم.

الخاتمة

لقد تبين لنا من خلال هذا الاستقراء للمفاهيم النبوية عدة نتائج أوجزها فيما يلي:

- الأهمية الكبرى التي يوليها النبي ﷺ للكلمة؛ ولذلك جاءت الأحاديث الكثيرة التي تحث الإنسان على التثبت والتريث في الكلام، والاقتداء بسيد البشر ﷺ في الاقتصاد الكلامي؛ لأن للكلمة آثاراً إيجابية أو سلبية تتجلى على شكل ردود أفعال سلوكية أو شعورية في الأفراد والمجتمعات. إن المفاهيم النبوية هي أمثلة عملية للكلم الجوامع الذي أوتيه النبي ﷺ تجلت على شكل مفاهيم مفردة أو مركبة، وقد تفنن النبي ﷺ في اشتقاق المفاهيم لغايات تربوية وتعليمية ذات أهمية بالغة، وقد تجلى ذلك في:
- **التكرار**: كما في قوله لأسامة بن زيد: أقتلته! وكما النهي عن شهادة الزور وغيرها.
- **التنوع: كما في**: الكبائر – أكبر الكبائر – السبع الموبقات – اليمين الغموس – الحالقة، وغيرها.
- **الإغراب**: وذلك لإثارة السؤال والاستفسار، والهدف من ذلك تثبيت المعلومات وترسيخها.
- **السؤال**: كما في سؤاله عن الغيبة والمفلس والرقوب وغيرها.
- **وأهدافها**: الوعظ: ترغيباً وترهيباً، والتربية حثاً وزجراً، والتعليم تنبيهاً وتذكيراً وتأكيداً.
- وقد كان النبي ﷺ يراعي في ذلك حال أصحابه، كما يراعي الزمان والمكان والمخاطب، وكان يتخولهم بالموعظة؛ مخافة السآمة عليهم. **وكانت القدوة العملية** في حياته ﷺ هي الأصل والأساس، ويأتي الكلام والقول للتفصيل والبيان والإيضاح، فكان النبي ﷺ نموذجاً للمعلم والمربي المتربع على عرش الأخلاق والقيم التي ترنوا إليها البشرية في كل زمان ومكان، وما كان ذلك إلا لأنه قد تشبع بهذا المنهج من معين الوحي الإلهي والتربية الربانية.

فكانت بعثته ﷺ كلها تهدف إلى هذا الإتمام، إتمام مكارم الأخلاق؛ لأنها هي جوهر الحياة الإنسانية.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"[١٠٣] وفي رواية "مكارم الأخلاق"[١٠٤].

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين

---

(١٠٣) مسند أحمد - (ج ١٤/ ص ٥١٢) رقم: ٨٩٥٢. شعب الإيمان - البيهقي - (ج ٦/ ص ٢٣٠) رقم: ٧٩٧٨. والمسند أيضاً للإمام أحمد بن حنبل - (ج ٢/ ص ٣٨١) رقم: ٨٩٣٩. تعليق شعيب الأرناؤوط: صحيح وهذا إسناد قوي رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان فقد روى له مسلم متابعة وهو قوي الحديث. وأخرجه الحاكم (٢/ ٦٧٠، رقم ٤٢٢١) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(١٠٤) مسند البزار - (ج ٢/ ص ٤٧٦) رقم: ٨٩٤٩.

مصادر البحث

ملاحظة : كتب الحديث اعتمدت فيها على الموسوعة الشاملة المتداولة على أقراص كمبيوتر والكتب التي رجعت إليها في الحديث كل نسخها الإلكترونية موافقة للمطبوع.

١ – الأدب المفرد – المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي – الناشر : دار البشائر الإسلامية – بيروت – الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

٢ – جامع الأصول في أحاديث الرسول – المؤلف : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ) – تحقيق : عبدالقادر الأرنؤوط – الناشر : مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان – الطبعة : الأولى.

٣ – الجامع الصحيح للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيرى النيسابوري – طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة – دار الفكر، بيروت لبنان.

٤ – الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم – تأليف: محمد بن فتوح الحميدي – دار ابن حزم – لبنان/ بيروت – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م – الطبعة الثانية – تحقيق : د. علي حسين البواب

٥ – سنن البيهقي الكبرى – المؤلف : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي – الناشر : مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م – تحقيق : محمد عبد القادر عطا.

٦ – سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح للإمام الحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ٢٠٩ – ٢٧٩هـ – حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف – دار الفكر للطباعة والنشر.

٧ – سنن الدارقطني – المؤلف : علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي

- الناشر : دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م - تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

٨ - سنن الدارمي - عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي - دار الكتاب العربي - بيروت -الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - تحقيق : فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي - الأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها.

٩ - سنن أبي داود - للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ - تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠ - السنن الصغرى - أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر - سنة الوفاة ٤٥٨هـ - تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي - الناشر مكتبة الدار - سنة النشر ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م - مكان النشر المدينة المنورة.

١١ - سنن ابن ماجه- محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني - دار الفكر - بيروت - تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي - والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

١٢ - سنن النسائي الكبرى - أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي- دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م - تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

١٣ - سنن النسائي (المجتبى من السنن)- أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي- مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب -الطبعة الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م - تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة - الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

١٤ - شعب الإيمان - المؤلف : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.

١٥ - صحيح البخاري - للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن

المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي – طبعة بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول – ١٤٠١هـ – ١٩٨١م – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٦ – صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان – المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي – الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م – تحقيق : شعيب الأرناؤوط.

١٧ – علم النفس العام – بإشراف : ف. ف. بوغوسلوفسكي – آ.غ. كوفاليوف – آ.آ. ستيبانوف – ترجمة : جوهر سعيد – منشورات وزارة الثقافة في سوريا ١٩٩٧م – د. ط.

١٨ – عمل اليوم والليلة – المؤلف : أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن – الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ. تحقيق : د. فاروق حمادة.

١٩ – الفائق في غريب الحديث – المؤلف : محمود بن عمر الزمخشري. – الناشر : دار المعرفة – لبنان – الطبعة الثانية – تحقيق : علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢٠ – فتح الباري – زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب – دار النشر : دار ابن الجوزي – السعودية / الدمام – ١٤٢٢هـ – الطبعة الثانية، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.

٢١ – فتح الباري شرح صحيح البخاري – المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – الناشر : دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٢ – فيض القدير – الإمام الشوكاني – الناشر : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة الاولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٢٣ – كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال – المؤلف : علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى : ٩٧٥هـ) المحقق :

بكري حياني – صفوة السقا – الناشر: مؤسسة الرسالة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٤ – مدخل إلى علم النفس، آن تايلور وآخرون، ترجمة: عيسى سمعان – منشورات وزارة الثقافة في سوريا ١٩٩٦م دمشق ط٢.

٢٥ – المستدرك على الصحيحين – المؤلف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م – تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص.

٢٦ – مسند الإمام أحمد بن حنبل – المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون– مؤسسة الرسالة – الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٢٧ – مصطلحات قرآنية – د. صالح عضمية، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية – لندن، دار النصر، بيروت ط١/ ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٢٨ – المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية، كتاب الأمة – السنة العشرون رجب ١٤٢١هـ، عدد ٧٨ وهو كتاب سعيد شبار – سلسلة تصدر عن وزارة الأوقاف – قطر.

٢٩ – "**المصطلح النقدي**" د. عبد السلام المسدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع – تونس أكتوبر ١٩٩٤م، د. ط.

٣٠ – مُصنف ابن أبي شيبة – المصنف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي: ١٥٩ ـ ٢٣٥هـ – تحقيق: محمد عوامة. – ملاحظات: – طبعة الدار السلفية الهندية القديمة. – ترقيم الأحاديث يتوافق مع طبعة دار القبلة.

٣١ – معجم مقاييس اللغة – المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا – المحقق: عبد السلام محمد هارون – الناشر: دار الفكر – طبعة عام: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٢ – المعجم الأوسط – المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني –

الناشر : دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥هـ – تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٣٣ – المعجم الصغير – المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني – الناشر : المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان – الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م – تحقيق : محمد شكور محمود الحاج أمرير.

٣٤ – المعجم الكبير – المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني – الناشر : مكتبة العلوم والحكم – الموصل – الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٣٥ – المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار – دار النشر : دار الدعوة – مجمع اللغة العربية.

٣٦ – الموطأ – مالك بن أنس – تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي – مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان – الطبعة : الاولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٣٧ – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي – الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٣٨ – النهاية في غريب الحديث والأثر – المؤلف : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت: ٥٤٤ – ٦٠٦هـ – المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي. وطبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.